البريد وخاتمه كما أدهشه المسرح [١٦] وإتقان الممثلين العرض ، مما أوحى إليه أن ما رآه حقيقة لا تمثيل . وفى إحدى مقابلاته يلتقى بأحد المصريين الذين عانوا غربتين غربة البعد عن الوطن وغربة تنكر الفرنسيين لهم بعد سقوط عرش نابليون وعودة الملكية إلى فرنسا [١٧] . . . وهكذا تنساب الأخبار فى الرواية بسلاسة ويسر وأكاد أقول بتلقائية .

ولا جدال أننا إذا أخذنا الكتاب على أنه عمل ريادى من بواكير الأعمال الروائية لَرأينا فيه الكثير من الخلل الفنى ، كذلك الذى أشار إليه من تعرضوا للكتاب على أنه رائد فى أدب الرواية[١٨] سواء فى بناء شخصياته أو إنطاقها بما لا تحتمله أحوالها الاجتماعية والثقافية أو بطء الحركة وعدم وجود حديث روائى وعدم تطور أى شخصية من شخصياتها ، فالشيخ « علم الدين » الريفى الأصل الذى أرسله أبوه إلى الأزهر لينال حظه من التعليم فاستطاب الحياة العلمية فى القاهرة وانتهى أمره إلى أن نقل بقايا أسرته من القرية إلى القاهرة ليكونوا فى رعايته بعد وفاة أبيه هو الشيخ علم الدين الذى جاب الدنيا براً وبحراً ورحل من الشرق إلى الغرب ، مجرد مرآة تنعكس عليها أحوال الحضارة لكنها لا تؤثر فيه بتغيير ما . وابنه برهان الدين الذى صحبه فى رحلته ليستزيد من العلم والمعرفة المرئية والاتصال بمجتمع آخر له